



قضية الوقت في المجتمع المصري بين
المفهوم والتخصيص

اعداد

د / أمل فضل حركه

قسم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة طنطا

قضية الوقت في المجتمع المصري بين المفهوم والتخصيص

د. أمل فضل حركه

قسم الاجتماع - كلية الآداب جامعة طنطا

تمهيد:

إن مقولة الزمان هي إحدى مقولتين قديمتين جداً هما مقولتا الزمان والمكان. فقد ظهرت عند كثير من الفلاسفة، الذين ذهبوا إلى أن العالم الخارجى أو الكون cosmos سلسلة من الظواهر يستحيل منطقياً حدوث أيها خارج نطاق الزمان والمكان. وقديماً أشار هيراقليطس إلى أنه لا وجود خارج إطارهما، حين قال: لا شيء في هذا العالم يستطيع أن يتجاوز مقاييسه، وهذه المقاييس هي الحدود الزمانية والمكانية. أما الفيثاغورية فقد رأى مفكروها أن «العالم قد وجد أصلاً بفضل ماله من حدود زمانية مكانية»، والخلاصة أنهما «إطار الوجود الذى عهدناه». وحين وضع أرسطو المقولات العشر categories جعلها أولاً الجوهر ثم أعراضه التسع التى من بينها الزمان والمكان. ومن بين فلاسفة العصر الحديث، ذهب كانط Kant إلى أن الزمان والمكان «إطاران مفطوران فى صلب العقل الإنسانى الذى يقوم بعملية المعرفة، وهما فى نظره: صورتان قبليتان أو شرطان للمعرفة، باختصار إطاران للوجود^(١). وبهذا نستطيع القول ان تقوالب كل وجود فى قالب مامن الزمان والمكان هو بؤرة من بؤرة الوعى الإنسانى فى كل مستوياته: من الحس المشترك إلى التفكير العلمى إلى الفكر الفلسفى.

ومع ذلك، فإننا إذا تركنا مجال الفكر الفلسفى، وجدنا أن «الوقت» متغير مفتقد فى التحليل الاجتماعى الحديث إلى حد كبير، إذ أن معظم الاجتماعيين يعاملون الوقت على أنه ملمح ثانوى أو عارض فى أبحاثهم بدلاً من إبرازه على أنه موضوع أساسى فى حد ذاته. باختصار، فإنهم إما يستبعدون الوقت كمتغير له دور فى تفسير الأوضاع explanatory variable أو أنهم يقدمونه كمبّر يقوم بدوره فى مرحلة لاحقة.

أولاً: المفهوم

ولكن إذا كانت مقولة الوقت لم تحظ من الاجتماعيين - على المستوى العام - بالاهتمام كموضوع أساسى، إلا أن عدداً منهم قد أسهم فى هذا المجال بدراسات ينبغى إبراز قيمتها. وفى هذا المجال فإن أصول أية معالجة سوسيولوجية حقيقية للوقت نستطيع أن نشهدها فى أعمال دوركايم Durkheim وأتباعه أمثال هيوربت Hubert وموس Mauss اللذين أكدوا على الطبيعة

الإيقاعية للحياة الاجتماعية من خلال تطوير مفهوم «الوقت النوعى أو الكيفى» - qualitative-time فى مقابل الوقت كمجرد زمن يمر . ولقد أكد دوركايم فى هذا المجال على أن الوقت ظاهرة جماعية collective phenomenon هى فى حد ذاتها نتاج الوعى الجمعى collective consciousness. وهكذا يكون الوقت فى نظر دور كايم، هو أحد التصنيفات الاجتماعية للفكر، بعبارة أخرى هو نتاج للمجتمع^(٣).

أما فيما يخص علماء الاجتماع الأمريكيين، فإن أعمال سوروكين Pitrim Sorokin وميرتون R.Merton تضمنت بعض الدراسات الخاصة بالوقت الاجتماعى social-time، وهم يؤكدون، كما أكد أصحاب المدرسة الفرنسية (دوركايم وأتباعه)، على الطبيعة النوعية (الكيفية) للوقت. وهم هنا لا يكتفون بأن يستمدوا أفكارهم من علم الاجتماع الدوركايمى، بل من أعمال بعض الأنثروبولوجيون أمثال: كوردنجتون Cordington وهودسون Hodson ونيلسون Nilson وبست Best وكروبر Kroeber، وهم يؤكدون هنا، على ما أكد عليه دوركايم، من أن الوقت هو إيقاع للحياة الجمعية. ويضيفون إلى ذلك أن هذه الصفة تتأتى من معتقدات وعادات الجماعة، بعبارة أخرى هى نتاج لثقافة الجماعة، كما نجد أن سوروكين وميرتون يخطون خطوة أخرى فيميزان بين الوقت الاجتماعى social-time والوقت الفلكى astronomical-time^(٤).

فإذا وصلنا إلى جيرفيتش Georges Gurvitch، فإننا نجد أنه دفع بهذه الخطى إلى آفاق جديدة فقدم فى أعماله محاولات بعيدة المدى ليحدد الخواص المختلفة للوقت الاجتماعى وذلك فى عام ١٩٦٤. وقد قام فى هذا المجال بدراسة بالغة التفصيل ليقدّم ثمانية تصنيفات للوقت لكى يوضح مدى التعقيد «الزمنى» للمجتمع الحديث الذى يرتبط بنظام الطبقات. ولقد أوضح أيضاً أن من خصائص الثقافات أنها خليط أو مزيج من «الأوقات» المتضاربة أو المتعارضة^(٥). وجيرفيتش مثل مثله دوركايم، يميز بين «الوقت الاجتماعى ضيق المدى» micro social time، وهو الوقت الذى يتصل بدائرة محددة والذى يميز الجماعات والمجتمعات المحلية، وبين «الوقت الاجتماعى واسع المدى» أو الذى ينسحب على دائرة واسعة macro social time والذى يعتبر من خصائص الأنساق والمؤسسات. وهو يؤكد على تعددية الأوقات الاجتماعية لدى الطبقات المختلفة للمجتمع، ويقول إننا نجد هذه التعددية سواء فيما يتعلق بنطاق الوقت أو فيما يتعلق بمستوياته.

وهكذا نستطيع أن نقول إن لفظ الوقت هو لفظ الحياة، ولقد ألح هذا اللفظ على الشعراء والفلاسفة منذ بدايات التفكير الحضارى لأننا نعيش الحياة فى «الوقت»، ولا يوجد وقت بدون حياة، بل إن كل فرد منا يعيش وقته الخاص، وإذا «جمع» وقت واحد بين شخصين فليس معنى

ذلك أنهما «يعيشان» بالضرورة نفس الوقت - وهذا يعنى، فى المحصلة الأخيرة، ان كل فرد يعيش فى فترة معينة له منظوره الخاص للوقت وله تواصله الخاص بالماضى والحاضر، يختلف محتواه ونطاقه من شخص لآخر، مثل اختلافهما فى المظهر والبصمات والسمات الشخصية والرغبات بل فى كل كيانهما.

وفى الحقيقة فإن جريان الوقت وتدفعه يجعل من الصعب الإمساك به، بل من الأصعب أن نصفه ونفسره، والسبب فى ذلك هو أننا إذا حاولنا أن نصف الوقت ببعض الكلمات لوجدنا أن هذه الكلمات تجعله يقف ساكناً والوقت ديناميكى متحرك، والكلمات ستاتيكية ساكنة وهكذا فإن «الكلمات تقتل الوقت» كما يذكر هيجل (٧).

هذا، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشعوب والمجتمعات المختلفة لاتتبع نفس أساليب التوقيت (شأنها فى ذلك شأن مقاييس المسافات) - والحديث عن مقولة المكان هنا هو من قبيل تدعيم مقولة الزمان. ففكرتا الزمان والمكان لدى الشعوب البسيطة تختلف تماماً عنها فى المجتمعات المتقدمة، فالزمان عندهم لايقاس بالساعات والدقائق، كما أن المسافة لاتقاس بالأميال أو الكيلومترات، وإنما يقاس الزمان والمكان بنوع النشاط الذى يمارس فى وقت معين بالذات. فالمقاييس التى يتبناها المجتمع الحديث المتقدم التى تؤخذ على أنها الزمان أو المكان الحقيقى لاتعتبر ذات أهمية أو جدوى بالنسبة للمجتمع البسيط. أو البدائى لأنها لاتتنفق وبقية ملامح الثقافة أو بقية إيقاعات الحياة (٨).

ولكن رغم هذا الاختلاف فإننى أودّ، فى البداية، أن تميز بين ثلاثة أنواع من الوقت من حيث تقسيمه وتوزيعه والعوامل المؤثرة فى ذلك. وأول هذه الأنواع هو ما يمكن أن نسميه «النوع البسيط» الذى لا يؤثر على قياسه إلا عامل واحد فى أغلب الأحيان. وأقدم فى هذا الصدد دراستين: إحداهما للأنثروبولوجى إيفانز بريتشارد، الذى أجرى دراسة على مجتمع النوير، والدراسة الثانية قام بها الأستاذ الدكتور أحمد أبو زيد عن فكرة الزمان وطرق قياسه فى الواحات المصرية (٩). ففى دراسة إيفانز بريتشارد بين لنا أن مفهوم الزمان عند شعب النوير حددته لهم الظروف البيئية التى يعيشون فيها. وقد اضطر بريتشارد لأن يميز بين نوعين من الزمان: الأول هو ما يطلق عليه اسم الزمان الإيكولوجى (البيئى) ecological time ويقصد به كل التصورات التى هى انعكاسات لعلاقات الناس بالبيئة، والثانى هو الزمان البنائى structural time ويقصد به التصورات التى هى انعكاسات لعلاقة الناس بعضهم ببعض فى البناء الاجتماعى (١٠)، وكلا

النوعين يشيران إلى تتابع الأحداث التي لها أهمية خاصة بالنسبة للمجتمع. وهو يعتقد أن أهم ما يميز الزمان البنائي عن الزمان الإيكولوجي هو أن الزمان الإيكولوجي زمان «دوري» بمعنى أنه يتكرر دائماً في شكل دورات، وأفضل مثل لذلك هو الدورة السنوية التي تنعكس فيها تغيرات الطبيعة واستجابات الناس لهذه التغيرات.

أما دراسة الدكتور أبو زيد فتدور حول اعتماد سكان الواحات المصرية على حركة النجوم ومواقعها في السماء ليس فقط لمعرفة الزمن، بل وأيضاً لتنظيم الري من الأبار الارتوازية وتوزيع المياه بين ملاك البئر الواحدة حسب أنصبتهم المختلفة في حيازة هذه البئر. وبالرغم من أن الناس في الواحات أصبحوا يعتمدون على الساعات في معرفة الوقت إلا أن استخدام الطريقة التقليدية القديمة لا يزال موجوداً وبخاصة بين الشيوخ وكبار السن في المناطق البعيدة^(١١).

أما النوع الثاني من قياس الوقت، فهو ما نستطيع أن نصفه بأنه «نوع بسيط ولكنه متعدد المحاور» أو العناصر، أي أنه خال من الاعتبارات المتداخلة، ولكنه يتبع مع ذلك، أكثر من وسيلة لقياس الوقت وتوزيعه. والمثال الذي أقدمه هنا هو مفهوم الوقت عند شعب التروبرياند Trobri-ands في شمال غرب ميلانيزيا. إن هذا الشعب يقوم بممارساته وطقوسه وأنشطته المختلفة حسب تقويم زمني محدد، وهم في الحقيقة يستطيعون أن يرتبوا لتوقيت معين قبلها بعدة شهور كما يستطيعون أن يحددوا الوقت ويعودوا بالذاكرة للوراء عدة أجيال. وربما كان في التعرف على مفهومهم للوقت من خلال عرض سريع ما يلقى القدر اللازم من الضوء على هذا النوع من مفهوم الوقت.

ففي هذا المجتمع نجدهم يميزون بين ثلاثة أنماط من الزمن يعتمدون في تحديدها على عدد من العناصر التي يمكن تصنيفها في ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى تعتمد على الفلك astronomical والمجموعة الثانية تعتمد على الأرصاد الجوية meteorological والمجموعة الثالثة ثقافية cultural.

والمجموعة الأولى تعتمد على ملاحظتهم للنجوم والشمس والقمر، وأما الثانية فتعتمد على التغيرات المتكررة في الرياح والجو والثالثة تعتمد على الأنشطة والممارسات البشرية الموسمية^(١٢).

وفيما يخص المجموعة الأولى، فإن القمر يلعب الدور الأهم في حياة المواطنين أكثر من الشمس والنجوم - والربيع الأول من الشهر القمري يدعى القمر الذي لم يكتمل أو لم ينضج unripe moon، والربيع الثاني يدعى القمر في قمته أو في علاه the high moon، والربيع الأخير

يدعى فى الظلام الكبير in the great darkness. هذا، ونستطيع القول أن الربيع الأول والربيع الأخير لا يوجد فيهما تسميات للأيام، ولكن من اليوم العاشر وحتى اليوم الحادى والعشرين فهناك إسم لكل يوم من هذه الأيام.

وفى الفترة من اليوم الثالث عشر وحتى اليوم الخامس عشر تقام الاحتفالات حيث يرقص الناس كباراً وصغاراً، وتطلب الفتيات هدية عند اكتمال البدر وتدعى بلغتهم الوطنية "yapila". (١٣)

أما المجموعتان الثانية والثالثة فهما مرتبطتان ببعضهما إلى حد كبير بحيث يمكن اعتبار المجموعة الأخيرة متداخلة مع سابقتها. وفى هذا الصدد نجد أن المجموعة الثانية تعتمد على تقسيم الرياح السائدة عندهم. فقسم من هذه الرياح يقع بين شهرى مايو ونوفمبر، والنوع الثانى من الرياح يقع ما بين شهرى ديسمبر وأبريل، وأما الأيام الحارة فتقع ما بين أشهر الفصيلين السابقين أى ما بين شهرى أبريل ومايو ثم ما بين شهرى نوفمبر وديسمبر. ثم تأتى المجموعة الثالثة، وهى المتعلقة بالممارسات والأنشطة الموسمية فى هذا المجتمع، فنجد أن الزراعة تتم فى موسم الرياح المصحوبة بالأمطار، بينما يتم الحصاد وتنشيط التجارة فى موسم الرياح الجافة. هذا بينما يعتمد الصيد والملاحة، عندهم، على الأوقات التى يجدها أبناء المجتمع مناسبة لهاتين الحرفتين فى ضوء حركة الرياح السائدة (١٤).

وأصل الآن إلى النوع الثالث من هذه التقسيمات وهو ما يمكن أن نطلق عليه تسمية «النوع المركب أو المتداخل» وهو النوع الذى تتداخل أو تتكامل فيه عناصر متباينة لثقافات متعارضة فى الأساس. وأقدم فى هذا الصدد مثالين أحدهما من الجزائر والآخر من المغرب. ففى المجتمع الجزائرى نجد أن عنصرين متباينين يتداخلان فى قياس الوقت، أحدهما المفهوم الذى يسيطر عليه «كيان الجماعة»، بمعنى ما تتوقعه الجماعة من الفرد فى تصرفه، وهو الكيان الذى أنتج أداة الفكر التى أرست ونظمت العلاقات الاجتماعية والخصائص المتعلقة بها بحيث انعكست مقومات كيان «الجماعة» على كل جوانب التجمع الجزائرى: الدين، السلطة، الاقتصاد، التربية والتعليم، بل حتى ما ينتمى إلى عالم التخيلات الذى يرتبط بالمعتقدات الشعبية وما يتصل بها من طقوس وشعائر (١٥). أما المفهوم الثانى فهو يتبع ثقافة جديدة آتية من الخارج، وهو مرتبط بالانتاج بمعناه الشامل الذى يشمل الأفراد وأدوات الانتاج - وهو مفهوم لا يزال المجتمع الجزائرى بعيداً عن تحقيقه. وهكذا يبدو الجزائرى وكأنه يقف بين عالمين أحدهما تقليدى والآخر حديث دون أن يستطيع أن يتوحد مع جوهر كل من الاثنين بشكل حقيقى. وهكذا يجد نفسه، فى موقف

لانظامى anomique، يكمن سببه فى الاقتلاع الدائم للجذور القديمة (دون أن يكتمل ظهور الجذور الجديدة) (١٦).

فإذا انتقلنا إلى «المغرب» نجد أن مفهوم الوقت لديهم هو محصلة اعتبارات متعددة سواء أكان ذلك فى قرية صغيرة أم داخل المجتمعات الحضرية. فبالملاحظة والمعاشية نستطيع أن نكتشف عناصر مختلفة ناتجة عن تشابك ثقافات متعددة، فالتجارب الشخصية والمفاهيم والمعتقدات الدينية والمعرفة العلمية تتداخل جميعها بشكل طبيعى، فالتجريبية empiricism التى تبدو لأول وهلة أنها تتعلق بالأمر الزراعي فقط تتداخل بشكل أساسى ووثيق مع وجهة النظر الدينية لتحوّل الوعى بالوقت إلى «نظام». وبهذا يصبح الوعى بالوقت عند ابناء هذا المجتمع، فى الحالات العادية، نابع من عدة مصادر: من العاطفى إلى العقلانى ومن التجربة الزراعية القديمة إلى التكنولوجيا الحديثة (١٧).

كما سبق يتضح لنا ان الزمن، إذا كان فى معناه المجرد هو ذات الشيء فى كل المجتمعات، فإن اختلاف الثقافة فيما بين هذه المجتمعات هى التى تسبب تعددية مفهوم الوقت من مجتمع لآخر، وهو أمر يودى إلى أن تحدّد شخصية كل مجتمع على أساس من الوقت الذى يتواءم معه. وفى هذا الصدد فإن الوقت المذكور يعاش بشكل عام، ولكن يبقى أن نقول إن كل فئة اجتماعية تتوحد مع وقت موائمتها الفرعية sub-culture. وفى هذا الصدد يذكر هالباواكس Halbwachs فى كتابه عن «الذاكرة الجماعية» أن: هناك عدداً من التقويمات calendriers (أو طرق حساب الزمن) يساوى عدد ما هناك من المجتمعات، طالما أن تقسيمات الوقت تعبّر عن نفسها أحياناً من خلال مفردات دينية... وأحياناً أخرى من خلال مفردات متعلقة بقضايا العمل (١٨).

ومن هذا نخلص إلى أن فكرتى الزمان والتاريخ ليستا أصيلتين فى فطرة الإنسان، وهذا ما يذكره جان بياجيه Jean Piaget. عالم النفس المعروف، فالأطفال الرضع - فى نظره - يعيشون فى الحاضر فقط وان الوعى بالتزامن والتعاقب هو استجابات يتعلمها الفرد فى طفولته. كما أن الأفكار عن الزمن ليست موحدة - كما سبقت الإشارة - فلكل من الحضارات المختلفة ومن ثم اللغات المختلفة طريقتها المتميزة تماماً فى تصوير الزمان، ومثال على ذلك لغة هنود أمريكا من قبائل الهوبى Hopi التى تفتقر إلى الصيغ الزمنية للدلالة على الماضى والحاضر والمستقبل، ولهذا يعيشون فى حاضر لغوى دائم والزمان بالنسبة لهم، على سبيل المثال، هو «ما يحدث عندما ينضج محصول الذرة أو عندما تكبر الماشية» (١٩).

هذا، بل إن غالبية المجتمعات لم تكن لديها أى فكرة ولو غامضة لاستخدام نوع الزمان المقسّم إلى «ساعات» بالصورة التى نأخذها نحن مأخذ التسليم فى العصر الحديث، فلم تكن أغلب المجتمعات مبالية بالحصص الدقيق والمضبوط للزمان، ونادراً ما كان الناس فى المجتمعات الريفية يتذكرون أعمارهم بدقة حسب عدد السنين. ولم يصبح تسجيل السن بالأرقام أمراً مهماً إلا مع بداية عالمنا البيروقراطى ونظام القيد العام للمواليد والوفيات. وكذلك كانت المجتمعات التقليدية تؤرخ أحداثها المهمة فى أغلب الأحيان بوضعها مقادير عشوائية تقريبية من الزمان فى الماضى. وميّزت كثيراً من المجتمعات تاريخها بالسنة التى اعتلى فيها حكامها سدة الحكم، واعتاد الرومان حساب السنين ابتداءً من تاريخ تأسيس مدينتهم. ولم يقسّم الناس سنوات حياتهم حسب سنوات العمر التى عاشوها بل حسب المراحل البيولوجية لحياتهم ومكانتهم الاجتماعية: كأن يقال «وقتما كنت طفلاً أو شاباً»، أو «وقتما كنت فى سن الزواج أو رئيساً».... وكان سكان جزر التوريرياند يؤرخون الأحداث بقولهم أنها وقعت «إثناء طفولة س» أو «فى السنة التى تزوج فيها ص» (٢٠).

وفى نهاية حديثى عن مفهوم الوقت أودّ أن أشير هنا إلى دراسة فى تفصيلات هذا المفهوم قام بها سوروكين P.Sorokin وميرتون R.Merton تحت عنوان: «الوقت الاجتماعى: تحليل منهجى ووظيفى»^(٢١) ميزا فيها بين مفاهيم مختلفة: الوقت من الناحية الفلكية والفلسفية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.... وفى هذا المجال يذكر العالم أن مرور الوقت من الناحية الفلكية يختلف عنه من الناحية النفسية: فإن الوقت الملوّء بأحداث هامة وكبيرة وسعيدة يمرّ سريعاً دون أن نشعر بالمدة الزمنية التى احتلتها الأحداث (رغم طولها) بينما نجد أن الوقت يمرّ طويلاً وبطيئاً حين يخلو من التجارب والأحداث السعيدة (رغم قصر المدة التى يحتلها)^(٢٢). وفى حقل الاقتصاد فقد اتضح أيضاً أن الوقت الفلكى (أو الذى يعتمد على الساعة) clock-time لا يمكن تطبيقه دائماً. ففى التحليل الشهير الذى قدّمه مارشال Marshall عن التوازن الاقتصادى economic equilibrium بالاعتماد على الفترات «الطويلة» والفترات «القصيرة» التى يمتد عبرها نشاط السوق، نجد أن التصور الاقتصادى للوقت ينعدم تطابقه مع الزمن الفلكى^(٢٣).

وهكذا نجد أن الوقت الاجتماعى يعبر عن التغير أو الحركة فى ظواهر اجتماعية معينة فى ضوء ظواهر اجتماعية أخرى تؤخذ على أنها نقطة مرجعية ثابتة متفق عليها. ففى سياق أنشطتنا اليومية عادة ما نعتد على هذه النقاط المرجعية المتفق عليها. وهنا يورد المؤلفان أمثلة على ذلك من بينها: «بعد الحرب العالمية بقليل». أو «سأقابلك بعد الحفل الموسيقى» أو «عندما تقلّد

الرئيس هوثر السلطة» (٢٤). ونستطيع نحن أن نقابل هذه الأمثلة بأمثلة مناسبة من حياة مجتمعنا وما فيها من أحداث وممارسات.

هذا، وفي مجال قياس الوقت فإننا نجد المجتمعات البدائية تعتمد على وسائل تنبع من واقعهم المعيشى كمؤشرات زمنية، والذي لاعلاقة له البته بنظام الوقت المعروف عندنا. وهنا يورد المؤلف أمثلة من مدغشقر حيث يذكر الناس فى قياسهم للوقت. مقدار ما يستغرقه طبخ الأرز 'rice - cooking' وهى تعنى نصف ساعة، أو «شوى جرادة» وتعنى لحظة، أو «مات الرجل فى أقل ما يستغرقه شوى كوز من الذرة» والمقصود منها فى أقل من ربع ساعة. وهكذا نجد أن التعبيرات الزمنية سواء من حيث الأمد أو الامتداد (الزمن) duration أو الدلالة (الزمنية) indication، مرتبطة بالأنشطة الاجتماعية أو الانجازات الجماعية (٢٥).

وفى نهاية الحديث عن هذه النقطة أودّ أن أضيف أنه إذا كان المفهوم الفلكى للوقت حتمياً ومحددًا فإن المفهوم الثقافى للوقت لدى المجتمعات المختلفة هو خلاصة التداخل بين المفاهيم السابقة المتعددة بحيث يصبح الوقت الاجتماعى هو محصلة لكل مقومات الجماعة.

بعد هذا العرض السريع لمفهوم الوقت يبرز السؤال المطروح. إذا كان هناك وقت فلكى نعرفه من خلال تغيّر الفصول وتغيّر الليل والنهار وتدرج سطوع الشمس خلال رحلتها اليومية وظهور القمر وغيابه - وهو نوع من التوقيت ترتبط به حياة بعض المجتمعات ولا تزال بعض آثاره ظاهرة فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، حتى بعد أن تغيّرت أوضاع هذه المجتمعات، كما يتداخل معه التوقيت الدينى بمآنيه من طقوس وشعائر، وإذا كان هناك فرق كبير بين هذا التوقيت والوقت الانتاجى الذى يرتبط فيه الوقت بساعات العمل ومقدار الانجاز فى مجال الانتاج. ثم إذا كان الوقت الاجتماعى يجمع بدرجات متفاوتة هذين النوعين من التوقيت - وذلك من حيث ممارسة أنشطتنا اليومية وتوزيعها على احتياجاتنا المتعددة من نوم وأكل وعمل وترفيه وطقوس دينية وغير ذلك - فكيف نتعامل مع هذا الوقت كمفهوم اجتماعى وكيف نخصمه، وهل نختلف فيما بيننا فى نوعية ومستويات تخصيصه؟ وهل نستفيد منه الفائدة المرجوة أم أن هناك فاقداً كبيراً فيه؟

وتزداد أهمية هذا التساؤل الأخير، بحيث يتحول إلى أمر جوهري فى حياتنا، فى ضوء ثلاثة عوامل أساسية: وأول هذه العوامل يتصل بنوع الانتاج فى المرحلة الزمنية التى نمر بها الآن ومدى تأثير ذلك على تقسيم الوقت فى مجتمعنا. وفى هذا الصدد فإننا قد دخلنا عصر «المجتمع الصناعى» بشكل تدريجى منذ فترة غير قليلة، كما نستطيع أن نقول إننا نقترّب بشكل حثيث

من عصر «مجتمع الصناعة الكثيفة» (بغض النظر عن نوعية الصناعات: ثقيلة أم خفيفة، ضرورية أم كمالية طالما أنها منتشرة). ومن المعروف أن التوقيت أو طريقة قياس وتوزيع الزمن في مثل هذا المجتمع بشكل مفيد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بوفرة الانتاج. والعامل الثانى فى هذا الصدد يتصل بعلاقة مجتمعنا بالمجتمعات الأخرى فى الفترة التى نعيشها الان والتى يكاد العالم يتحول فيها إلى قرية صغيرة بسبب التطور الصاروخى فى وسائل المواصلات والاتصال بين المجتمعات المختلفة، ومن ثم يصبح للمنافسة فى الانحياز تأثير سريع ومباشر وتصبح الاستفادة فى مجال هذه المنافسة من نصيب المجتمع الأكثر إنتاجاً. أما العامل الثالث الذى يتصل بالتساؤل المطروح فهو يتصل بالمثاليات التى تشكل جزءاً - مهما كان حجمه أو درجة التصاقنا به - من تصوراتنا الاجتماعية. وفى هذا المجال نجد بعضاً فى أمثالنا يتحدث عن قيمة الوقت مثل «الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك» أو «لاتوجل عمل اليوم إلى الغد». كذلك نجد أن ثقافة إحدى العقيدتين السائدتين فى مجتمعنا (الإسلام والمسيحية) وهى الثقافة الإسلامية تحدّد موقفها من تقسيم الوقت وتوزيعه، على نحو ما نجد مثلاً فى آية «والعصر إن الإنسان لفى خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات...»^(٢٦) وفيها تمجيد للزمن من حيث القسم به وتوجيه له إلى العمل الصالح (بغض النظر عن الصفة الدنيوية أو الدينية للعمل). وكما نجد فى آية أخرى هى «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله...»^(٢٧) وفيها تقسيم واضح للزمن. وهو أمر نجد كذلك فى حديثين للرسول (ﷺ) أحدهم هو «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً». أما الآخر فهو «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»، بما يشير إليه من تخصيص الوقت الكافى - فى مجال توزيع الوقت - لانتقان العمل الذى يقوم به الفرد.

ثانياً التخصيص

كان هذا هو الحديث عن المفهوم، وأنتقل الان إلى الجانب الميدانى من الدراسة، ويدور الجانب الذى اخترته لها حول قياس الوقت على أساس من متصل زمنى time continuum وهو ما يطلق عليه اسم «تخصيص الوقت» time-budget approach، بما فى ذلك من اختلافات عديدة فى تناول. وقد ظهرت أول دراسة فى هذا المجال فى بدايات العقد الثانى من القرن الحالى، وكانت أول دراسة هى التى قام بها بيثانز G.E.Beavans حول «طريقة استخدام وقت الفراغ لدى العمال» فى كولومبيا بالولايات المتحدة، وكانت هذه الدراسة، حسبما يذكر هو، الأولى من نوعها^(٢٨).

كذلك قام ج.أ. لندبرج G.A.Lundberg بعد ذلك بدراسة حول طريقة «تقسيم أوقات الفراغ فى وستشستر» Westchester، وهى ضاحية من ضواحي مدينة نيويورك حيث استخدم فيها جداول تخصيص الوقت time - budget schedules، وكان ذلك فى اوائل الثلاثينيات من هذا القرن^(٢٩).

دراسة هامة أخرى، فى هذا المجال، هى الدراسة التى قام بها ثورندايك E. L. Thorndike تحت عنوان «كيف نَمضى أوقاتنا، ولأى غرض» How we spend our time and what we spend it for. وذلك فى محاولة لاكتشاف الاحتياجات النفسية التى يغطيها سلوكنا اليومي (٣٠). ومن بين هذه الدراسات المبكرة كذلك، دراسة قام بها رايلى J. W. Riley حول أنشطة تفضية أوقات الفراغ لدى سكان برونزويك Brunswick فى مقاطعة ماين Maine وهى دراسة اتخذ ماجاء فى الجرائد المحلية أساساً لها (٣١).

ومن بين الظروف التى وجهتني للقيام بهذه المحاولة المتواضعة فى مجال قياس الوقت أن هذا النوع من الدراسات نادر فى مجتمعنا حتى الآن، وإن كان المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية قد قام بمحاولة فى هذا المجال فى عام ١٩٩٢ لدراسة «تخصيص الوقت فى مصر»، ولكن المحاولة لم تتجاوز مرحلة الاعداد. كذلك وجدت من مبررات الإقدام على هذه المحاولة، تلك الحقيقة التى تكاد تكون معروفة لدى الجميع، وهى أن مفهوم الوقت فى مجتمعنا، فى عمومه، مفهوم مطاط وغير محدد، وهو أمر نلجده فى كافة جوانب المجتمع وعلى كافة المستويات، وإن كان ذلك بنسب متفاوتة. وينعكس ذلك فى أحد مظاهره، فى استخدامنا لعبارات غير محددة فى الإشارة للوقت مثل: مسافة ماتشرب القهوة، بعد يومين ثلاثة، بعد الظهر، المغربية، وغير ذلك من التعبيرات المشابهة. وفيما عدا استثناءات قليلة، فإن هذه العبارات ليست قاصرة على طبقة دون الأخرى، أو على منطقة أو شريحة من المجتمع دون غيرها، وإنما يشترك فيها الجميع: أهل الريف وأهل الحضر، المثقفون وغير المثقفين، كما تشيع فى كافة المجالات، بما فى ذلك الدوائر الرسمية حيث تقابلنا فى أغلب الأحيان العبارة المعهودة «فوت علينا بكرة» أو ما يعادلها. وفى إطار هذه الملاحظة، أشير إلى ما يحدث فى كثير من الأحيان داخل شريحة المجتمع التى أنتمى إليها - وهى الجامعة. فهنا، ومن واقع تجربتى الخاصة داخل هذه الشريحة (وهى تجربة يشاركنى فيها آخرون بحكم الظروف الواحدة للعمل)، يأتيك خطاب من جامعتك يتعلق بانعقاد مؤتمر فى جامعة أخرى. هذا الخطاب يحوّل من مكتب لآخر فى الجامعة الداعية ثم فى جامعتك حتى يصل إلى القسم المختص، فتجد أنه لم يتبقّ على انعقاد المؤتمر سوى أيام قليلة لتكفى للاستعداد المطلوب للمشاركة الايجابية المطلوبة فى هذا النشاط العلمى.

أما فيما يخص الاستخدام فقد لاحظت بشكل عام ان استخدام الوقت فى مجتمعنا يبرز فيه تفاوت يكون كبيراً فى أحيان كثيرة، من شخص لآخر، وإن كانت السمة الغالبة عليه هى أننا نسيء استخدام الوقت إلى حد كبير بحيث لانتفع به بالقدر المطلوب، وهو سوء استخدام قد يتصل بالوقت فى عمومه من حيث اهدار نسبة قليلة أو كثيرة منه، وقد يتصل بتحديد توقيتات معينة داخل إطار زمنى واحد، وذلك من حيث عدم الالتزام بالتوقيت المطلوب أو المناسب أو الذى

تفرضه طبيعة الطرف أو العمل: الإطالة غير المجدية في مناقشة موضوع معين داخل اجتماع رسمي، الإسترسالات والتفرغ في التعليق على بحث في مؤتمر على حساب فرص الآخرين في التعليق وبالتالي عدم الاستفادة من آرائهم، التأخر الزائد في الحضور في ميعاد متفق عليه في مناسبة اجتماعية، الإطالة غير المقبولة في كثير من الأحيان في استخدام أدوات الاتصال أو الترفيه مثل المحادثات التلفونية أو مشاهدة التلفزيون أو الفيديو وغير ذلك.

وللتحقق من هذه الظاهرة أجريت دراسة ميدانية في محاولة لقياس هذا التفاوت وللتعرف على نوعية تقسيم الوقت حتى نستطيع ان نحدد مواطن الإساءة في استخدامه. وكان المنهج الذي اتبعته هو «منهج كتابه اليوميات» Diary method، وهو منهج استخدمه الباحثون الغربيون في مجالات مختلفة: نفسية واجتماعية وتاريخية، ثم قاموا بتكييفه بحيث يمكن استخدامه كذلك في مجال دراسة تخصيص الوقت time budget schedule^(٣٢). وقد أجريت الدراسة على خمسة عشر فرداً تتفاوت أعمارهم ما بين ٢٣ و ٦٨ سنة، وحاولت في هذا المجال أن أعطى معظم الشرائح الاجتماعية: اثنين من المعيدين، طالب دراسات عليا، اثنين من الحرفيين، تاجر، اثنين من الموظفين، اثنين من المدرسين، ربة بيت عاملة، ربة بيت متفرغة، ربة بيت في أجازة بدون مرتب من العمل، أستاذاً جامعياً، موظفاً برتبة وكيل وزارة بالمعاش، صاحبة محل تجارى.

وفي هذا المجال طلبت من الحالات تدوين مايفعله كل منهم أو منهن من أنشطة يومية كل ساعة بدءاً من ساعة الاستيقاظ وحتى ساعة النوم وذلك لمدة أسبوع. ثم كررت الدراسة على نفس الحالات ولدة أسبوع آخر وذلك خلال شهر رمضان. وبعد الانتهاء من الدراسة صنفت الأنشطة والممارسات اليومية تحت سبعة عناوين رئيسية وهي:

- ١- أنشطة وممارسات تشمل الاحتياجات الفيزيائية البيولوجية المنتظمة، (مثل:النوم والأكل والحمام).
- ٢- أنشطة تتعلق بالعمل والممارسات المتصلة به (مثل: الوظيفة، العمل الحر، واجبات المرأة المنزلية، التسوق).
- ٣- أنشطة اجتماعية (مثل: الزيارات واللقاءات العائلية، اللعب مع الأطفال، الاتصالات التلفونية).
- ٤- أنشطة دينية، (مثل: الصلاة وبعض الطقوس التي تتصل بها، الذهاب إلى أماكن العبادة).
- ٥- أنشطة ثقافية (مثل: حضور محاضرات، ندوات، قراءة، دراسة حرة).
- ٦- أنشطة فنية (مثل: حضور معارض فنية أو مسرحيات أو حفلات موسيقية، زيارة متاحف، الاشتراك في تمثيل أو غناء).

٧- متفرقات من الأنشطة المحببة إلى النفس (مثل: ممارسة هوايات، لعب الكوتشينة أو الطاولة، التريض، الاسترخاء، شرب الشاي، مشاهدة تلفزيون....).

وأشير في صده هذا التقسيم إلى أن مجموعات الأنشطة الثلاثة الأولى منه اضطرارية في طبيعتها بشكل أو بآخر من حيث أن الفرد مجبر عليها إما بسبب طبيعته الجسمانية، أو بسبب الحصول على ما يغطي احتياجاته المعيشية، أو بسبب طبيعته ككائن اجتماعي. أما الأنشطة الأربعة الأخيرة فهي تتصل بتحقيق ذاته سواء من حيث علاقته بخالقه أو علاقته بنفسه في أكثر من جانب.

* * *

وفيما يخص الشق الأول من الممارسات والأنشطة المشار إليها، وهو الشق الاضطراري، أبدأ بالمجموعة الأولى، وهي التي تتعلق بالحاجات الفيزيكية البيولوجية المنتظمة، وقد وجدت، من خلال الدراسة الميدانية الحالية، أنها تستغرق في المتوسط تسع ساعات وثلاثة أرباع الساعة يومياً بين المتوسط الثابت والتقديري لساعات النوم والأكل والحمام. ويخصّ النوم من ذلك $7\frac{1}{4}$ ساعة بشكل ثابت على أساس أنه يتراوح ما بين خمس ساعات وعشر ساعات في الأيام العادية، بينما أجمعت معظم الحالات على القيام في وقت متأخر يوم العطلة الأسبوعية (الجمعة بالنسبة لمعظم أفراد الدراسة، والاثنتين بالنسبة للحلاق والأحد بالنسبة لصاحبة المحلّ التجاري)، ولكن اثنتين من كبار السن كان موعد استيقاظهم ثابتاً. فإذا قدرنا الساعات الزائدة في النوم في يوم العطلة بساعتين في المتوسط حصلنا على ربع ساعة تقريباً كمتوسط تقديري لكل يوم من أيام الأسبوع. فإذا انتقلنا إلى قياس الوقت المخصص للأكل يومياً وجدنا أنه يمثل $1\frac{1}{4}$ ساعة يومياً كمتوسط ثابت حيث أنه يتراوح بين الساعة والساعة ونصف عند جميع الحالات.

أما فيما يخص الحمام فلم يمكن التوصل إلى متوسط ثابت أو متوسط تقديري يشمل كل الحالات، وإنما كانت النتيجة الأخيرة هي متوسط يتداخل فيه المتوسط الثابت مع التقديري - وعلى هذا الأساس المتداخل فقد وجدت أنه يستغرق $3\frac{1}{4}$ ساعة يومياً. ويرجع عدم التوصل إلى متوسط محدد (ثابت أو تقديري) إلى سبب هو: أن عدداً من الحالات لم يذكر أفرادها شيئاً عن هذا الموضوع (ربما تخرجاً) بينما كان المتوسط الثابت هو ساعة يومياً عند خمس من الحالات (ذكوراً وإناثاً)، وهو ما أتصور منطقياً أنه يشمل كل ما تعنيه الكلمة. وفي بقية الحالات كانت الإجابات جزئية غير شاملة. فبعضها يشير بوضوح إلى «الاستحمام» فحسب: فقد ذكرت ربة البيت أنه يستغرق ساعة مرتين أسبوعياً، وكان ساعة واحدة مرة أسبوعياً عند الموظفة مهندسة الديكور، وثلاثة أرباع الساعة مرة واحدة عند إحدى الموظفات. أما في حالة وكيل الوزارة

بالمعاش فقد كان الوقت الثابت هو ريع ساعة يومياً، وربما كان السبب في هذه الإجابات الجزئية هو نوع من الحرج.

وفيما يتعلق بالمجموعة الثانية من الأنشطة، وهي قتل الأنشطة الخاصة بالعمل والممارسا المتصلة به، فإن الوقت الذي ينفق في هذا المجال يختلف توزيعه بشكل واضح بين من يمارسو العمل الحرّ وبين من يعملون كموظفين حكوميين. ففيما يخص حالات العمل الحرّ من بين الحالا التي أجريت الدراسة عليها، وجدت أن الأفراد يحرصون على ساعات العمل بشكل ملحوظ، إذ قد يصل وقت العمل عنده إلى أكثر من عشر ساعات للفرد يومياً. أما في حالة الموظفين فإنهم يعملون في المتوسط نصف عدد ساعات العمل الوظيفي (وهي ٦ ساعات بين ٨ صباحاً و٢ مساءً في أيام العمل الأسبوعي)، بل قد يصل وقت العمل المؤدى إلى أقل من النصف أحياناً، بينما يمضون بقية الوقت في الحديث وتناول المشروبات. فإحدى الموظفات، على سبيل المثال، كان مجموع ساعات عملها هو ساعتين وربع في إحدى المرات. فقد ذكرت أنها ذهبت إلى العمل (في أحد الأيام وهو يوم خميس) ووصلت في الساعة ٨،٢٥ صباحاً، ثم جلست «لتدون المذكرات ثم تحدثت مع زميلاتها عن زيجات هذه الأيام حتى ٩،٣٠، ثم شربوا الشاي واكملوا الحديث حتى الساعة ١٥،١٥ صباحاً. ثم قامت بأداء بعض الأعمال الخاصة بوظيفتها حتى الساعة ٣٠،١٢ ظهراً وبعد ذلك «جلست بدون عمل من الساعة ٣٠،١٢ وحتى ٣٠،١٦ تستمع إلى ذكريات إحدى صديقاتها من الموظفات» - ثم من الساعة ٣٠،١٦ وحتى الثانية بعد الظهر (وهو موعد الانصراف)، قالت «كنت أقرأ بعض الشعر وأتحدث مع زميل لي عن المدير الجديد»....

كذلك نجد موظفة أخرى (مهندسة ديكور) تتحدث عن العمل بشكل يتراوح بين الجدية الثامة في بعض الأحيان وبين «التسيّب» في أحيان أخرى. تذكر مرة ان إحدى زميلاتها تأخرت في الحضور ساعة كاملة عن موعدها، وحين تناقشتا في الأمر أفهمتها الزميلة أنها يجب أن لاتأخذ الأمور «باهتمام شديد وعلى أعصابها» و«الدينا مش مستاهله وإيه يعنى لما تتأخر»!! ومرة أخرى نجدها تعمل ثلاث ساعات من الساعات الستة المقررة في اليوم، إذ تقول أنها وصلت إلى مكان عملها وأخذت «ترغى مع الزملاء وتشرب الشاي لمدة ساعة» ثم «اعتذرت قبل موعد الانصراف بساعتين لتقضى بعض أمور خاصة بها». وفي مرة ثالثة «اتفقت مع زميلاتها على أن تحضر كل واحدة بعض أصناف الأكل ليفطروا في المكتب في اليوم التالي».

وتظهر هذه المفارقة بين وقت العمل في العمل الحرّ والوظيفة الحكومية في حالة تجمع بين هذين النوعين من العمل وهي حالة مدرس رياضيات، ولكنه يقوم إلى جانب عمله في المدرسة بالإشراف على عمل حرّ خاص بأحد أقاربه. ففي أحد الأيام يذكر في يومياته أنه ذهب إلى حجرة المدرسين «وشرب الشاي وتناقش معهم في أمور مختلفة»، ثم انتظر الموجه «لمقابلته» واستأذن

بعد ذلك لمصاحبة عمه «للذهاب إلى الطبيب حيث كان يشكو من بعض الآلام» بينما يذكر في يوم آخر أنه، بعد الانتهاء من العمل المدرسي، ذهب إلى مكان عمله الآخر (مع عمه وهو في مجال المقاولات) وجلس مع الصال وقام بالعمل معهم ولم يشعر بالوقت، لأن هذا العمل يسرق الوقت منه، حسب تعبيره، ولم ينتبه «إلا وأذان العصر قد ارتفع ...».

وهناك نوع ثالث من تخصيص وقت العمل لمجده في حالات ربات البيوت بأنواعهن، وهي حالات بينها تفاوتاً كذلك - فالأولى وهي متفرغة لمنزلها، يستغرق عملها المنزلي سبع ساعات يومياً، فيما عدا يوم الجمعة الذي يساعدها فيه أولادها الثلاثة (وهم في المدارس الابتدائية والاعدادية) فإن العمل يستغرق منها أربع ساعات فحسب. أما ربة البيت الموظفة (والتي هي في أجازة من العمل) فإن العمل المنزلي يستغرق منها ثلاث ساعات ونصف يومياً، بينما نجد الحالة الثالثة، وهي ربة البيت العاملة (مدرسة في مدرسة إعدادية) - فإنها تذكر يومياً أنها ذهبت إلى العمل وأمضت اليوم الدراسي في المدرسة من الساعة ٢٠، ١٢ وحتى ٣٠، ٤ بعد الظهر دون أن تذكر تفصيلات اليوم الدراسي، ثم نجد أن متوسط الساعات التي تضيها في العمل المنزلي هو خمس ساعات يومياً في متوسطه.

هذا، وفيما يخص من يعملون في الجامعة (المعيدين والأستاذ الجامعي) فإن وقتهم مابين الدراسة والتدريب الميداني (بالنسبة للمعيدين) والتدريس وتحضير الأبحاث وقراءة الرسائل العلمية استعداداً لمناقشتها (بالنسبة للأستاذ) قد يصل إلى عشر ساعات في اليوم الواحد. أما فيما يخص وكيل الوزارة بالمعاش فإن وضعه يختلف عن بقية الحالات من حيث أنه غير مرتبط بعمل حر أو حكومي لذلك نجد أنه يمضي يومياً ساعتين في متابعة مصالحه الخاصة: البنك، المحامي، المعاشات وغيرها - ويقوم باصلاحات مختلفة في المنزل لمدة ساعتين مرة واحدة أسبوعياً.

هذا، وهناك وقت يمكن أن نضمه إذا أردنا، إلى ساعات العمل وهو الوقت المخصص للتسوق. وفي هذا المجال أود أن أذكر، إن التسوق لم يرد ذكره عند أربع من الحالات، وهي حالات: الأستاذ الجامعي وأحد المعيين والحلاق والتاجر. أما بالنسبة للحالات الأخرى فإن التسوق ورد ذكره عندهم جميعاً وكان متوسط ما يستغرقه من وقت يتراوح مابين: ساعة واحدة أسبوعياً عند طالب ماجستير، ويصل إلى أقصاه عند إحدى ربات البيوت، وعند الموظف بالمعاش إلى ست ساعات في الأسبوع بمتوسط قدره ساعة يومياً تقريباً.

أما فيما يتعلق بالمجموعة الثالثة من الأنشطة وهي الأنشطة الاجتماعية، فقد وجدت ان الوقت الذي يستغرقه يختلف، كذلك، اختلافاً بيناً من حالة لأخرى. فبالنسبة لربة البيت المتفرغة

فإنها تذكر أنها لاتزور ولاتزار إطلاقاً ونشاطها الاجتماعي الوحيد هو الجلوس مع أطفالها ومتابعة أمورهم لمدة ست ساعات يومياً (إلى جانب قيامها بالأعمال المنزلية لمدة سبع ساعات يومياً حسبما ذكرت في مناسبة سابقة). وعلى عكس ذلك نجد أن ربة بيت ومدرسة في آن واحد، تذكر أنها تجلس للحديث مع زوجها ساعة يومياً وتقوم باجتماعيات وزيارات عائلية مع أسرة الزوج والأصدقاء لمدة ثلاث ساعات يومياً. وهناك حالة ربة البيت (في أجازة من عملها) وهي تقضى ساعتين يومياً مع الزوج في أحاديث ونقاش حول أمور الحياة وتلعب مع طفلتها ساعة يومياً وتزور الأصدقاء حوالي أربع ساعات مرة في الأسبوع. أما الشباب من المعيّدين والموظفين فإن لقاءاتهم تصل في متوسطها إلى حوالي ساعة يومياً، بينما تصل أوقات اللقاءات إلى ثلاث ساعات يومياً في حالة الحلاق، نصف الوقت مع الأسرة والنصف الآخر مع الأصدقاء الذين يحضرون لزيارته في مكان عمله. وفي حالة الأستاذ الجامعي نجد أن لقاءاته لاتزيتن على ساعتين مرة في الأسبوع وأحاديث مع زوجته حول مائدة الطعام في أغلب الأحيان، إلى جانب لقاءات خاطفة مع زملاء العمل من حين لآخر بشكل غير منتظم. أما التاجر فإن وقته موزع مابين الجلوس مع أطفاله ساعة يومياً وحوالي ساعة مثلها مع أصدقائه يومياً كذلك، ثم زيارة أسرته لمدة أربع ساعات مرة أسبوعياً، إلى جانب بعض الالتزامات من حين لآخر (المشاركة في زفاف أو عيد ميلاد أو واجب عزاء)، وإن كنت لا أميل إلى إضافة هذا النوع من الالتزامات إلى حالته فهي نشاط عام يشترك فيه الجميع بدون استثناء تقريباً، فضلاً عن أنه نشاط لايتكرر كثيراً أو بشكل منتظم.

وأود أن أشير هنا أنه في حالة هذا التاجر تيسرَ الزيارات والاجتماعيات لأنه يقوم بتوريد بعض المواد الخاصة بعمله ومتابعة أشغاله من الساعة صباحاً وحتى الثانية بعد الظهر وبذلك يستطيع التفرغ بعد الظهر لحياته الخاصة. أما بالنسبة للموظف بالمعاش فإنه يمضي أوقات فراغه مابين الجلوس مع أفراد أسرته (ساعتين يومياً) ومقابلة أصدقائه في النادي ثلاث مرات في الأسبوع لمدة ساعتين كل مرة، واجراء بعض التليفونات لمدة ربع ساعة يومياً، وكتابة خطابات لمدة ساعة مرة أسبوعياً. هذا، وأود أن أذكر هنا أنه بالنسبة للاتصالات التليفونية فإن عدداً كبيراً من الحالات لم يذكر شيئاً بشأن الاتصالات التليفونية بالرغم من أننا نعرف أن المكالمات التليفونية في مجتمعنا كثيرة جداً ومطولة، بدليل أن أحد الحالات، أشار إلى أنه يتحدث مع صديقه في التليفون لمدة ساعة، ومرة أخرى ذكر أنه أجرى مكالمة لمدة نصف ساعة وهكذا.... ولكن يبدو أن الحالات المدروسة لم يشعر أصحابها أنهم مضطرون لكتابة شيء عن هذه الاتصالات حين كانوا

يكتبون هذه اليوميات - وربما يعود ذلك إلى أنهم لم يشعروا أنها تشكل نشاطاً واضحاً أو قائماً بذاته.

ويعد الحديث عن المجموعات الثلاث السابقة من الأنشطة، وهي ما أسميته بالأنشطة الاضطرارية، أنتقل الآن إلى المجموعات الأربع الأخيرة وهي التي يمارسها الفرد لتحقيق ذاته سواء من حيث علاقته بخالقه أو من حيث علاقته بذاته في الجوانب المختلفة. وأول مجموعة في هذا الصدد (وهي المجموعة الرابعة في التقسيم) تتعلق بالأنشطة الدينية اليومية (على مدار العام). وهنا نجد أن جميع الحالات قد ذكر أصحابها قيامهم بالصلاة يومياً وبانتظام فيما عدا حالتين: الموظفة أمينة المكتبة وصاحبة المحل التجارى. وفي بقية الحالات فإن هذه الأنشطة الدينية، إذا كانت تشكل تفاوتاً من حالة لأخرى مثل الأنشطة السابقة، إلا أن هذا التفاوت ليس حاداً فالوقت الذي تستغرقه الصلوات يتراوح ما بين نصف ساعة وساعة في المتوسط يومياً. أما بشأن قراءة القرآن الكريم فإنه يتراوح ما بين نصف ساعة وساعة أسبوعياً إلى أن يصل عند موظف المعاش إلى ساعة يومياً، إلى جانب سماعه لإذاعة القرآن الكريم لمدة ساعتين يومياً - وهناك أربع من الحالات لم تذكر قراءة القرآن الكريم - وتركزت القراءة غالباً في يوم الجمعة عند الحالات التي تقرأه مرة في الأسبوع. أما الذهاب إلى الجامع لأداء الصلوات فإنه لم يرد ذكره إلا حين ذكرت صلاة الجمعة، اللهم إلا عند حالتين ذكرتا «الذهاب إلى الجامع خلال أيام الأسبوع العادية لمدة نصف ساعة».

أما فيما يخص المجموعة الخامسة من الأنشطة، وهي الأنشطة الثقافية فإنه تتراوح من «لا يوجد» عند المدرسة المتزوجة (حتى ولاقراءة الجرائد)، إلى قراءة جريدة حوالى «ربع ساعة» مرة أسبوعياً عند مدرس الرياضيات، ثم إلى قراءة جريدة لمدة نصف ساعة ثلاث مرات في الأسبوع، إلى قراءة يومية للجرائد لمدة نصف ساعة عند الحلاق. هذا، وتزيد المدة للقراءات المتنوعة: جرائد ومجلات ودراسات وأبحاث عند المعيدين والأستاذ الجامعى لتصل إلى خمس ساعات يومياً. غير أن هذا العدد من الساعات يشويه شيء من عدم الوضوح، فربما كانت قراءة الدراسات والأبحاث تدخل ضمن وقت العمل عندهم، وهو النشاط الذي سبقت الإشارة إليه. أما التاجر الشاب فإنه يقرأ الجرائد والمجلات حوالى ساعتين أسبوعياً وقراءاته العامة تصل إلى ساعتين ثلاث مرات أسبوعياً وهو يقرأ الشعر ويتذوقه. هذا بينما نجد أن مهندسة الديكور تحضر دروساً في اللغة الألمانية لمدة ثلاث ساعات أسبوعياً، وتقرأ الألمانية لمدة نصف ساعة مرتين أسبوعياً. وفيما يخص

موظف المعاش فإنه قارىء من الطراز الأول، فهو يقرأ الجرائد لمدة ساعتين يومياً إلى جانب قراءات أدبية وتاريخية حوالى ساعتين ثلاث مرات أسبوعياً، يجلس للكتابة حوالى ساعة مرتين أسبوعياً، ويحضر ندوات حوالى ساعتين أسبوعياً.

ومن الملفت للنظر فى هذا المجال، مجال الأنشطة الثقافية، وخاصة فيما يتعلق بقراءة الجرائد اليومية، أن معظم الحالات غير منتظمة فى القراءة، فهناك من يقرأها مرة فى الأسبوع وهناك من يقرأها مرتين أو ثلاث فى الأسبوع، فيما عدا أربع حالات: الأستاذ الجامعى والموظف بالمعاش وابنته المعيدة وربة البيت (فى أجازة من العمل) هم الذين يداومون على قراءة الجرائد بانتظام.

أما بالنسبة للمجموعة السادسة من الأنشطة، وهى الأنشطة الفنية وتشمل حضور المعارض الفنية والمسرحيات والحفلات الموسيقية وزيارة المتاحف، أو الاشتراك فى التمثيل والفناء - فإن أمرها غير وارد بالنسبة لتسع من الحالات، ممثلة بذلك ثلاثة أخماس المجموعة تقريباً. أما الحالات الست الباقية، فإن أربعة من أصحابها يحضرون بعض العروض الفنية ويوزرون المتاحف والأماكن الأثرية بحكم طبيعة عملهم. فبالنسبة للمعيدة (فى قسم المسرح)، فإنها تقوم بتقديم بعض العروض بحكم طبيعة عملها، إلى جانب تدريب الطلاب على التمثيل وجوانب أخرى من المسرح. وأما ربة البيت (فى إجازة من عملها)، فإنها تعمل أيضاً فى هيئة المسرح، وحيث أن زوجها شاعر مسرحى كذلك، فهى تحضر عرضاً مسرحياً كل أسبوع. كذلك بالنسبة لمهندسة الديكور فهى تعمل فى تلفزيون الاسكندرية وهذا يفرض عليها حضور المعارض الفنية بما يستغرق من وقتها ثلاث ساعات أسبوعياً، إلى جانب تقيتها ساعتين، كل أسبوع، فى الرسم. وأما المعيد فإنه يعمل بقسم الآثار فى إحدى الجامعات الاقليمية، فعمله يفرض عليه زيارة متاحف والأماكن الأثرية، وكان تسجيله ليوميته، بالصدفة، فى أسبوع صادف فيه قيام القسم بزيارة للقاهرة حيث أمضى خلال الرحلة الكثير من الوقت فى زيارة: للقلعة ومتحف الفن الاسلامى والمتحف المصرى وزيارة الأهرامات كمشرف على طلبية القسم - هذا وإن كان العمل يفرض عليه هذه الزيارات، إلا أنه لن يكون بهذا الشكل المكثف لولا ان جاءت الرحلة كأمر عارض خلال تسجيل اليوميته. وتبقى هنا حالتان، إحداهما هى حالة التاجر، فهو - كما سبقت الإشارة - هاو للشعر لذلك فهو يحضر بعض المعارض إذا سنحت الفرصة، دون أن يشير بشكل محدد لذلك. أما الحالة الأخرى فهى، الأستاذ الجامعى الذى يحضر الحفلات الموسيقية التى تقام فى قاعة المؤتمرات فى الاسكندرية وصادف أسبوع اليوميته حضور حفل سيمفونى فى هذه القاعة، ومعرض للصور فى قاعة فكر وفن، فى معهد جوته فى الاسندرية.

ويتبقى فى النهاية الحديث عن المجموعة السابعة من الأنشطة وهى متفرقات من الأنشطة

الترويحية المحببة إلى النفس كالهوايات المختلفة: لعب الكوتشينة أو الطاولة أو التريكو أو الترييض أو الاسترخاء أو جلسة لشرب الشاي ومشاهدة التلفزيون وغيرها. وأول ما نلاحظه هنا (على عكس ما شاهدنا فيما يخص الأنشطة الثقافية) أنها أنشطة يمارسها الجميع بلا استثناء، كذلك فإنها رغم تفاوت الوقت الذي تشغله من حالة إلى أخرى، إلا أنها تشغل حيزاً محسوساً من الوقت في أغلب الحالات. وهنا نجد أن الاسترخاء ومشاهدة التلفزيون وحل الكلمات المتقاطعة تأتي في المرتبة الأولى من حيث شغلها لوقت فراغ الحالات موضع الدراسة، فيأتي التلفزيون في المقام الأول حيث يشغل ما بين ثلاث وأربع ساعات يومياً وقد يمتد إلى خمس ساعات يوم العطلة عند ربة البيت (في اجازة من عملها) - ثم تجده يشغل ساعتين يومياً عند خمس حالات ويقبل إلى ساعة يومياً عند ثلاث حالات أخرى، إلى أن يصل إلى ساعة أسبوعياً عند الأستاذ الجامعي. أما الاسترخاء فمتوسطه ما بين ساعة وربع ساعة يومياً عند جميع الحالات، وأما حل الكلمات المتقاطعة فإنه يشغل نصف ساعة يومياً عند سبع من الحالات ولتذكره الحالات الثماني المتبقية.

ويدخل ضمن هذه المجموعة من الأنشطة كذلك المشي والتمشية مع الأصدقاء، وهذا تمارسه ثمان من الحالات. ففيما يخص المشي نجد أنه يمثل رياضة يومية بالنسبة لثلاثين: واحدة من الشباب والأخرى موظف المعاش. أما التمشية فتتراوح ما بين مرة في الأسبوع وثلاث مرات في الأسبوع لدى الشباب من الذكور. ويأتي دور الوقوف في البلكونة لمدة تتراوح ما بين ربع ساعة ونصف ساعة يومياً عند سبع من الحالات (خمس من النساء واثنتين من الذكور) ويمتد إلى ساعة يومياً عند الموظفة أمينة المكتبة (غير المتزوجة). أما بالنسبة لشرب الشاي وتناول الحلويات فيأتي ذكره عند عشر من الحالات بينما أغفلته الحالات الخمس الأخرى - وهو يتراوح ما بين نصف الساعة والساعة يومياً عند الحالات التي ذكرته. وفيما يخص التدخين ولعب الطاولة فقد جاء ذكره فقط عند الحلاق الذي ذكر أنه يدخن ويشرب الشاي لمدة ساعة يومياً، ويجلس مع نفسه ويتأمل لمدة ساعة ويلعب الطاولة لمدة ساعتين يوم أجازته مع الأصدقاء - وأود أن أشير هنا إلى أن الحلاق غير متزوج وحاصل على ليسانس في الآداب من قسم الآثار بأحد الجامعات الإقليمية. وفيما يخص التاجر (الفنان) وهو حاصل، أيضاً، على دبلوم من معهد عالٍ فني، فإن هواياته تتراوح ما بين: استماعه للموسيقى الهادئة نصف ساعة يومياً ومشاهدة الفيديو لمدة ساعتين ونصف مع الأسرة مرة أسبوعياً، واللعب بالكمبيوتر مع أولاده لمدة ساعتين ونصف أسبوعياً، وجلسه مع الأصدقاء ساعتين مرة أسبوعياً. أما بالنسبة للحياكة والتطريز وأعمال التريكو وغيرها فلم يأت ذكرها إطلاقاً عند أي من الحالات المدروسة من الفتيات والسيدات.

أما بالنسبة ليوميات أسبوع شهر رمضان، وهو ظرف استثنائي، حيث أنه يمثل شهراً واحداً

من أشهر السنة، إلا أن تخصيص الوقت فيه يمثل ظاهرة خاصة لدى معظم أفراد المجتمع، حيث أن نظام الحياة نفسه يتغير تماماً في هذا الشهر. وهنا نجد عدة متغيرات تبدو واضحة وخاصة فيما يتعلق بساعات النوم ومواعيدها، فنحن نجد أن عدد الساعات يقل كثيراً حيث تصل في بعض الأحيان إلى ثلاث أو أربع ساعات في الليلة الواحدة نتيجة لانتظار السحور وصلاة الفجر. ولكننا نجد أن معظم الحالات كانت تحاول تعويض النقص في وقت النوم إما في يوم الأجازة أو في فترة ما بعد الظهر عند عدد من الحالات، وفي حالتين اثنتين فقط كانوا ينامون في مواعيدهم العادية ثم يستيقظون في الساعة الثانية والنصف صباحاً لتناول السحور ثم الصلاة. وهكذا نستطيع القول ان تغيير مواعيد النوم أدى إلى قلة النوم في أغلب الأحوال، ولكن البعض كان يحاول الحصول على كفايته من النوم بتوزيع أوقات الراحة بشكل يتناسب مع ظروفه - وإن كان المتوسط اليومي لدى الجميع قد انخفض من سبع ساعات في الأيام العادية إلى ست ساعات في شهر رمضان.

ومن المتغيرات الواضحة في هذا الشهر أيضاً، زيادة المدة التي أمضاها أفراد العينة في مشاهدة برامج التلفزيون، حيث أجمعت معظم الحالات على ذلك، كما أجمعوا على مشاهدة نفس البرامج تقريباً. ولجند أن المتوسط قد زاد ساعة ونصف، تقريباً، في اليوم الواحد. أما الوقت المحدد للأنشطة الدينية فقد زاد هو الآخر بشكل واضح، حيث أجمعت الحالات المدروسة على أداء الفروض في مواعيدها وانتظم جميع أفراد العينة في قراءة القرآن الكريم من فيهم الذين لم يذكروا شيئاً عن أنشطتهم الدينية في يومياتهم التي سجلت في الأيام العادية من السنة. كما داومت عشر حالات من العينة على أداء صلاة الفجر في موعدها، وداوم شباب العينة (ست حالات) على صلاة التراويح في المسجد إلى جانب الموظف بالمعاش، وداوموا على أداء صلاة الجمعة في المسجد أيضاً.

ومن الملفت للنظر أن شاباً (وهو طالب دراسات عليا ومعيد في إحدى الكليات) كان الوقت الذي ينفقه في الدراسة والتدريب وخلافه - خارج أيام رمضان يصل إلى تسع ساعات، انخفض إلى ساعتين في أيام رمضان. وذكر في هذا الصدد في ختام كتابته لليوميات، ان: شهر رمضان يمثل بالنسبة له فترة من التعب وصلة الرحم وفترة يقوم فيها باجتماعياته ويذكر أن «حياته في هذا الشهر تختلف تماماً عن بقية أشهر السنة»، وأن هذا الشهر، في نظره، ذو طبيعة خاصة.

حالة أخرى، وهي ربة البيت المتفرغة، تذكر على سبيل المثال، أنها كانت تقرأ القرآن لمدة ساعة واحدة في الأسبوع، في غير شهر رمضان، ولكنها كانت تقرأ القرآن في رمضان لمدة ساعة

ونصف في اليوم الواحد. هذه الحالة سجلت، أيضاً، أن الوقت الذي يستغرقه اعداد الطعام في هذا الشهر كان أطول مما كان يستغرقه خارج أيام رمضان.

بعد هذا العرض للدراسة الميدانية حول تخصيص الوقت في حياة العينة موضع الدراسة والتي أرى أنها تمثل عدداً معقولاً من شرائح المجتمع المصري، أصل الان إلى عدد من الاستنتاجات التي تتصل بمدى استفادة المجتمع المصري من تخصيص الوقت بالقدر الذي يدعم كيان مجتمعنا في جوانبه المختلفة.

وأبدأ هنا بثلاث ملاحظات عامة: الأولى، هي أن أهمية عامل الوقت في حياتنا لاتزال غير واضحة وغير محددة في نظر عدد كبير من أبناء المجتمع. ولايزال هذا العامل بعيداً عن اهتمام الكثيرين. وهذا ما اتضح من تسجيل الحالات المدروسة ليومياتهم حيث نجد أنهم في كثير من الأحيان لا يذكرون «بدقة» تحديد الوقت الذي تستغرقه الأنشطة المختلفة التي يقومون بها، بالرغم من توضيح هذه النقطة لهم حين طلب منهم تسجيل كل مايقومون به بدقة متناهية.

والملاحظة العامة الثانية هي أن أى تخصيص للوقت يتغير في شهر رمضان بشكل كبير لغير سبب مقنع، سواء في قدر الوقت المخصص للنوم أو في توقيتته وتوزيعه، أو فيما يتعلق بالوقت المخصص للعمل الذي يكاد يتلاشى نهائياً عند حالة المعيد الذي كان يعمل مايقرب من العشر ساعات في اليوم في غير رمضان وقد كان تبريره لذلك هو أن هذا الشهر شهر تعبد وصلته للرحم. هذا بينما تزيد ساعات الجلوس أمام التلفزيون. وألاحظ هنا أن ماجاء في القرآن الكريم لا يخص رمضان وحده بالتعبد وصلته الرحم، كما لا يذكر شيئاً عن إنقاص لساعات العمل في هذا الشهر، وإنما كان واضحاً فيما يخص القدرة أو عدم القدرة على الصيام وكيفية التصرف في حالة عدم القدرة على ذلك.

أما الملاحظة الثالثة، فهي أن أغلب الحالات لاتخضع لنظام يومي محسوب وإنما وفق مايستجد من ظروف وحالات مزاجية، بمعنى أن الزيارات واللقاءات والخروج لا يتم وفق مواعيد وقرارات مسبقة وإنما يتم بصورة فجائية غير منتظمة. وليس هذا فحسب، بل يمكن القول أن كافة الأنشطة الاجتماعية والثقافية والترويحية تتم بصورة عشوائية ومتغيرة، اللهم فيما عدا النشاط الدينى الذي يعدّ، تقريباً، النشاط الوحيد الذي يخضع لنظام يومي في انفاق الوقت.

وربما كان من المناسب أن أشير هنا إلى أن مجتمعات الدول النامية ينقصها تنظيم الوقت، فالمفهوم الاجتماعى الجديد للوقت (الذى يربط الوقت بالانتاج) لايزال غير واضح في أذهاننا

بالرغم من أنه العامل الأساسي الذي كان وراء التطور في المجتمعات الغربية. على أننا يجب أن ندخل في الاعتبار أن تعميم استخدام الوقت (من هذا المنظور) بشكل يعكس درجة نضج الحضارة الغربية، كان نتيجة لمسيرة تاريخية طويلة لتلك المجتمعات. وهذا يعني في الواقع أن أي تحول أو تغيير في هذا الصدد لا بد أن يتم في المقام الأول على المستوى الثقافي والذهني، بحيث يصبح الأمر في حقيقته عملية تحول يمكن أن تؤدي إلى الحالة التي أطلق عليها فيبر Weber تسمية ethos والتي يعني بها «أسلوب الحياة» (٣٣).

وأنتقل الآن إلى الملاحظات على الجوانب المختلفة لتخصيص الوقت، وهنا ألاحظ في مجال الأنشطة الاضطرارية أن الوقت المخصص للممارسات والأنشطة الفيزيقية (النوم والأكل والحمام) تتم بشكل عادي دون اقلال أو إفراط ملحوظ. وإن كنت ألاحظ أن أغلب أفراد العينة يزدون الوقت المخصص للنوم في مناسبة يوم العطلة الأسبوعي فلا يستطيعون إلا متأخراً في هذا اليوم، وهكذا يتداخل مفهوم الوقت المخصص للنوم مع مفهوم الوقت المخصص للترويح أو لغيره، والذي كان يمكن أن يقضيه الفرد في ممارسة نوع من التغيير الايجابي: رحلة، ممارسة هواية .. الخ.

وفيما يخص المجموعة الثانية من الأنشطة الاضطرارية، وهي التي تخص العمل وما يتصل به، فإن الملاحظة الأساسية هنا هي أن أصحاب الأعمال الحرة يقومون بدورهم بشكل ايجابي سواء فيما يخص عدد ساعات العمل التي قد تصل إلى عشر ساعات في اليوم أو في جديته التي تستغرق الفرد استغراقاً كبيراً بحيث «ينسى نفسه» كما عبّر أحد الذين يتعاملون في ميدان العمل الحر - وهو أمر نستطيع أن نردّه إلي أكثر من سبب، من بينها الاقتناع الشخصي بأن أي مجهود في هذا المجال يعطى عائدته المادي بشكل يمثل المقابل الحقيقي للمجهود - وهذا بدوره يعطى عائداً أدبياً من حيث أنه يؤدي إلى قدر من الرضا النفسي المطلوب. ومن بين هذه الأسباب كذلك اقتناع الممارس بأن العائد المادي (بما يتبعه من العائد الأدبي) يزداد بمرور الوقت نتيجة لزيادة الخبرة واتساع دائرة التعامل. وعلى عكس ذلك نجد قسماً كبيراً من الوقت المهدر في العمل الحكومي، قد يزيد عن نصف ساعات العمل في بعض الأحيان. وأحد أسباب ذلك ربما يكمن في قصور الراتب الحكومي في عمومته عن تغطية تكاليف الحياة بالشكل المعقول أو المطلوب بحيث لا يتناسب مع قدر العطاء المنتظر من الموظف أو العامل الحكومي في مقابلها. ومن هنا عبارة «على قد فلوسهم» التي تشيع في هذا الوسط. وكذلك فإن «الروادع» اللازمة لوضع حدٍ للتسيّب لا يمكن أن تنفد بطريقة جادة إذا أخذنا في اعتبارنا هذه الحالة من القصور المادي. وهكذا يمكن أن نقول في ختام الحديث عن هذه المجموعة من الأنشطة أنها لا تستفيد منها بالقدر الكافي في تدعيم كياننا في هذا الجانب.

أما عن ثالث مجموعة في هذا الشق الاضطراري من الأنشطة والممارسات وهي الأنشطة الاجتماعية، فالملاحظ فيها انها تكاد تقتصر على دائرة محدودة وضيقة، وهي دائرة الاتصال بالأقارب والأصدقاء والزملاء، ولا تتجاوز ذلك إلى الدائرة الأوسع التي تمثل الأنشطة الاجتماعية العامة في المجتمع، مثل الجمعيات ذات الأهداف الاجتماعية أو الخيرية أو نشر الوعي الصحي أو غيرها - ودليل ذلك أنه لم توجد سوى حالة واحدة من حالات عينة الدراسة الخمس عشر (الأستاذ الجامعي) الذين ينتمون إلى هذه الدائرة الواسعة لهذه الأنشطة العامة. وربما يكون السبب في ذلك هو أنها لا يزال ينظر إليها، إلى حد كبير، على أنها أنشطة كمالية أو مظهرية يقوم بها أفراد الطبقة الراقية الذين يتسع وقتهم لمثل هذه الأمور. ومعنى هذا في الحقيقة هو أن كياننا لا يزال يفتقر إلى نقاط التماسك الإيجابي التي تكفي للارتفاع به في هذا الجانب فوق اتجاهات التبلور أو التوقع في كيانات صغيرة داخل الكيان العام للمجتمع.

فإذا انتقلنا إلى الشق الآخر من هذه الأنشطة وهو الذي يتصل بتحقيق الذات متمثلاً في علاقة الإنسان بخالقه وعلاقته بنفسه وجدنا الممارسات والأنشطة الدينية تشغل مساحة معقولة من حياة المجتمع تكفي في رأيي، لحفظ توازنه الروحي، ولكن الأمر يختلف قليلاً في حالة الأنشطة الثقافية العامة (التي لا يشكل جزءاً من العمل كما في حالات الأستاذ والمعيدين بالجامعة)، ابتداءً من انعدامها كلياً في بعض الحالات، وتدرجها بشكل غير متوازن نحو قراءة نشطة في الطرف المقابل. وأرى أن هذا القدر من النشاط لا يرقى إلى درجة الكفاية وبخاصة إذا تذكرنا أن قراءة الجرائد لا تستغرق عند بعض الحالات سوى ساعة مرة أو مرتين في الأسبوع. وربما كان أحد الأسباب هنا هو أن التلفزيون يقدم نشرة الأخبار عدة مرات في اليوم. كما أنه يحتوي على بعض البرامج الثقافية، وإن كان أصحاب حالات الدراسة لم يذكروا أي تفاصيل في هذا الصدد.

فإذا إنتقلنا إلى الوقت المخصص للأنشطة الفنية وجدنا تراجعاً غير عادي، فمن بين الحالات الخمس عشر، رأينا أن ثلاثة فقط هم الذين يخصصون وقتاً لهذا النوع من النشاط، أما الحالات الأخرى فثلاثة، أيضاً، من أصحابها يمارسون الفن بحكم عملهم أو امتداداً لهذا العمل. ومن ثم لا يدخلون بشكل إيجابي في هذا المجال. أما البقية الغالبة وهي تسع حالات لانتهتم بالنشاط الفني إطلاقاً - وهكذا فإن تخصيص الوقت في هذا المجال يشكل هبوطاً حاداً في تحقيق الذات.

وأصل أخيراً إلى المجموعة الأخيرة من الأنشطة التي تتعلق بتحقيق الذات، وهي الأنشطة الترويحية. ولما لاحظت أن على أنواع النشاط المدرجة تحت هذا العنوان: إحداها تقودني إلى التقليل من إيجابية عدد من هذه الأنواع، إذ هي تشكل قدراً من اختلاط الأمور وعدم وضوح التصور في مجال هذا التخصيص. وقد رأينا في هذا الصدد، مثلاً، أن شرب الشاي والتدخين

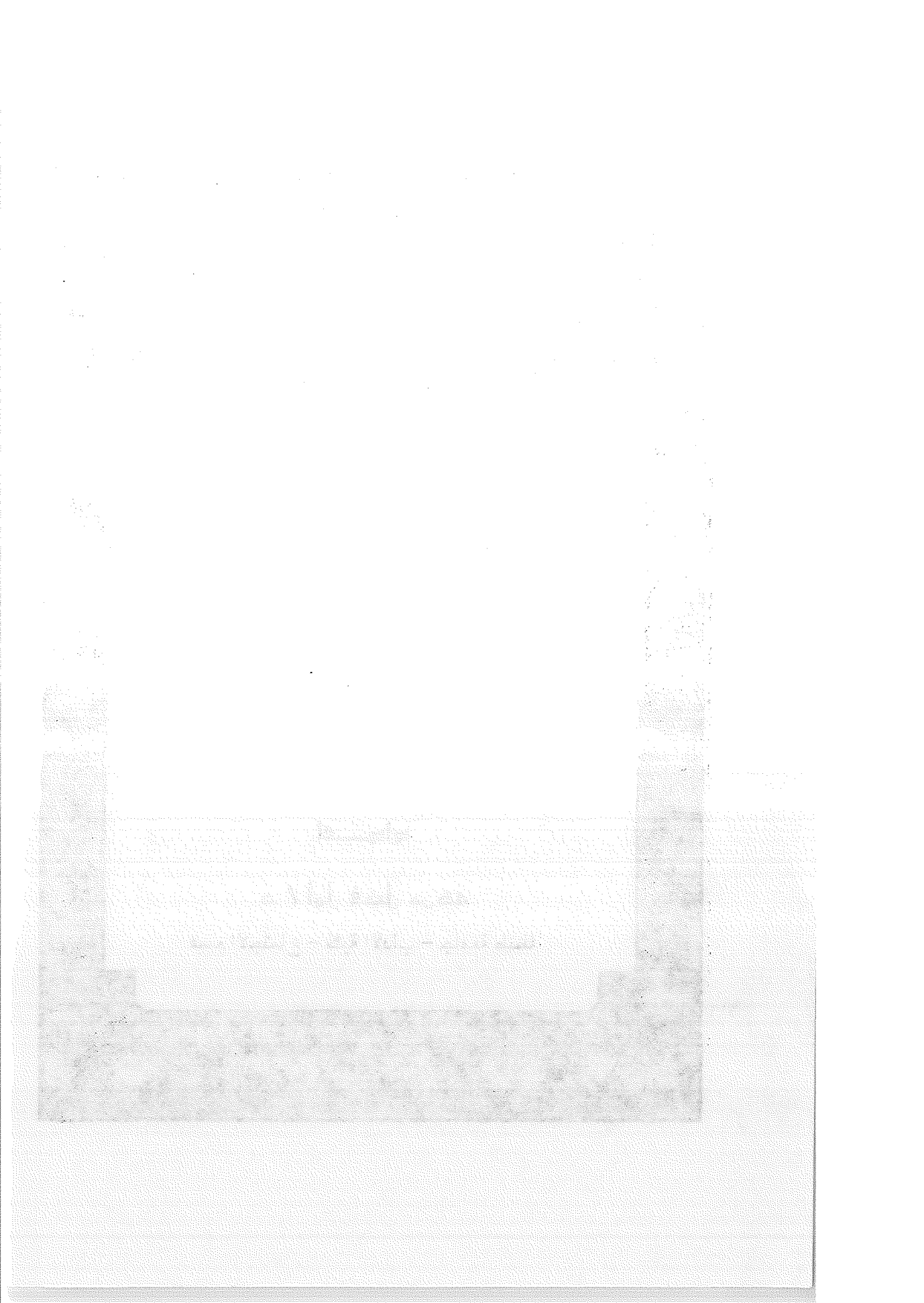
وأكل الحلويات أو الوقوف في البلوكونة يعد عملاً ترويحياً مع أنه لايشكل الإيجابية اللازمة لتحقيق الذات، ونجد في حالة شرب الشاي والتدخين أنها تتحول إلى مايشبه الطقس اليومي لمدة ساعة، كما يدخل في الاسترخاء كعامل أساسي عند جميع الحالات. أما الملاحظة الثانية فهي أن كل حالات المجموعة يخصصون لهذه الأنشطة، مهما كان نوعها وقتاً (يوميًا في أغلب الأحوال) يصل طوله إلى حدٍ ملموس، قد يكون خمس ساعات يومياً (مشاهدة التلفزيون مثلاً). وإذا كان من بين أنشطة هذه المجموعة مايسهم في تحقيق الفرد لذاته في حالات قليلة: المشى والتمشية، سماع الموسيقى الهادئة، اللعب بالكمبيوتر (مع الأولاد). وفيما عدا هذا النوع الأخير، فإن غياب الهوايات بشكل ظاهرة تنطبق على كل الحالات - وهكذا، مرة أخرى، نجد الوقت المخصص لإحدى مجموعات النشاط لا تقوم بدورها المطلوب في تحقيق الفرض من تخصيص الوقت لها.

وتبقى كلمة أخيرة في هذه الدراسة، وهي أن تخصيص الوقت في مجتمعنا وتصور هذا التخصيص لا يزال في حاجة إلى وقت طويل وإلى اهتمام كبير وإلى توعية مكثفة حتى يصل إلى القدر الكافي من الوضوح الذي لايشوبه تداخل أو رؤية غير واضحة من جهة، وحتى يصل، من جهة أخرى إلى الإيجابية في نوع النشاطات التي تدخل في إطار التخصيص الزمني بحيث لا يصبح هذا التخصيص اسماً بلا مضمون أو دلالة حقيقية.

الحواشي

- (١) - يبنى طريف الخولي: إشكالية الزمان في الفلسفة والعلم في «ألف» مجلة البلاغة المقارنة، العدد التاسع، الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٨٩، ص ص ٩ - ١١.
- (2) John Hassard: Introduction, The Sociological Study of Time, (in) The Sociology of Time (ed. John Hassard) University of Keele, The Macmillan Press LTD 1990. p.1.
- (3) Op.cit, p.3
- (4) Op.cit, p.p. 3, 4.
- (5) Op.cit, p.4.
- (6) Op.cit, p.p 4, 5.
- (7) Elliot Jaques: The Enigma of Time , (in) The Sociology of Time, p. 27.
- (8) Lienhardt, G., :Social Anthropology , Home University Librray , London 1964, p.p. 41 - 43.
- مقتبس في: أحمد أو زيد: البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع الجزء الثاني، الأنساق، دارالكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧، ص ٤٥.
- (٩) أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص ٤٩.
- (١٠) ذاته، ص ٥٠.
- (١١) ذاته، ص ٥٧ - ٥٨.
- (12) Bronislaw Malinowski: Time - reckoning in The Trobriands, (From B, Malinowski, "Lunar and Seasonal Calendar in The Trobriands" Journal of The Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, 56 -57, 1926 - 27, p.p. 203 - 15) , in , The Sociology of Time p. 204.
- (13) Op.cit, p. 206 - 207.
- (14) Op.cit, p., 208.
- (15) Bossada Rachid: Le Temps Social dans La Culture Algerienne - et ses Incidences quant aux, Transformations: Thèse presenté a L'université René Descartes des Scineces Humaines, Sorbonne, Paris V, 1989, p. 237.

- (16) Op.cit, p. 241.
- (17) L.Gardet, A. J.Gurevich (and others): Cultures and Time, The Unesco Press , Paris, 1976, p. 215.
- (18) Halbwachs, M. : Les Memoires Collectives, PU F (Presse Universitaire de France), Paris, 1968, p. 110.
- (١٩) روي بورتر: تاريخ الزمان (في) فكرة الزمان عبر التاريخ، المشرف على التحرير ، جون جراني، ترجمة فؤاد كامل، عالم المعرفة، العدد ١٥٩، مارس (آذار) ١٩٩٢ ص ٨.
- (٢٠) المرجع ذاته، ص ١١.
- (21) P.Sorokin and R. Merton: Social - Time: A Methodological and Functional Analysis, American Journal of Sociology , Vol 42, 1937, pp. 615 - 29) (in) The Sociology of Time, p. 56.
- (22) Op.cit, p. 57.
- (23) Op.cit, p.p. 57 - 58.
- (24) Op.cit, p. 58.
- (25) Op.cit, p. 59.
- (٢٦) سورة العصر، آية : ١ - ٢.
- (٢٧) سورة الجمعة ، آية ١٠.
- (28) George Esdras Bevans, "How Workingmen Spend Their Spare Time" (Columbia University Press; New York, 1913) , p. 11.
- Pitirim Sorokin , and Clarence Q. Berger: Time - Budgets of Human Behaviour, Cambridge Harvard University Press (Mass., U.S.A) 1939, p. 9.
- (29) Op.cit, p.9.
- (30) Op.cit, p. 13.
- (31) Op.cit, p. 14.
- (32) Op.cit, p. 23.
- (33) Bossada Rachid : op.cit, Preambule , p. 1.



Quantity required for the above lot is 100
units per year. The above lot is 100 units.

100